الاستفادة منها الاستفادة المطلوبة. إذن ألا يستحق الإنسان المرسل إلى الدنيا بألف قابلية بذل الاهتمام والرعاية التي نبذلها لشجرة؟

* * *

يا ابن آدم! أنت الذي تقوم بجلب الأطفال إلى الدنيا، لذا فوظيفة الارتفاع بالطفل إلى ماوراء هذه السماوات تقع عليك وحدك. فكما تهتم بصحة جسمه وتشفق عليه من المرض، اهتم بحياة قلبه وبروحه واشفق على ذلك المسكين وأنقذه بحق الله، ولا تدعه يخسر الدنيا والآخرة.

يُلدغ المؤمن مرة واحدة فقط

لا يرتفع أي فكر أو مبدأ عظيم إلا بنظام فكري موزون، ولا يجد الحياة والأنصار إلاّ ضمن تخطيط صحيح. وعند ذلك يتحول إلى محراب تتوجه إليه أنظار مؤيديه وأنصاره. والمبدأ الذي لا يجد هذا العون وهذه القاعدة من الأنصار والمؤيدين يموت ويزول قبل ولادته.

* * *

القوى التي لا تعتمد في وجودها وعدمها، أو تجمعها أو تفتتها علينا، ولا نؤثر نحن فيها فمن العبث قيامنا بعقد أي أمل عليها. والذين عقدوا تحقيق آمالهم عليها عرفوا أنهم مخدوعون. والذين أسسوا مستقبلهم وبنوه عليها انسحقوا تحت أنقاض ما بنوه.

* * *

إن سمو الفكرة ومتانة التخطيط وإخلاص الأفراد الذين يمثلون تلك الفكرة إخلاصاً قلبياً عميقاً عناصر مهمة في نجاح أي دعوة. ولكن يجب التأكد من عمل الأسباب والعوامل التي يتم اختيارها عند التخطيط لأي بناء بحيث تؤدي إلى النتائج المرتقبة. والذين يعقدون آمالهم على أسباب غير

مجربة، و لم يتم تأييدها من قبل ديوان أو مجلس عال، يصابون هم وكـــذلك الذين عقدوا آمالهم عليهم بخيبة أمل شديدة.

* * *

يجب أن يستند الحق إلى الحق أيضاً، أي يجب أن يتم البحث عن أقـــوم السبل. فمن الغفلة أن تبحث عن الحق في أوساط لم تعرف الحق و لم يخطـــر الحق على بالها. ومخدوع من بحث عن الحق في ظلام الأســـباب وأجوائهـــا الباطلة.

* * *

لا يمكن بناء الأشياء الصحيحة والإيجابية بأفكار سلبية أو بواسطة آليـــة سلبية. ووضع الأمور الإيجابية في وسط الأمور السلبية يشبه المشي في فراغ الأبواب الدوارة. يجب ألاّ يقف المشي والحركة، ولكن يجب ألا يتم التصادم معها أيضاً.

* * *

يجب ألاّ تربط الحقائق الخالدة الباقية بالأشياء المتغيرة. فكما لا يصح لك أن تؤسس أهم مؤسساتك وأكثرها حيوية وأهمية فوق جزيرة عائمة وسابحة في البحر، كذلك لا يصح لك تسليم إدارة ودفة أمورك إلى نظم هي في يد الآخرين.

التناقضات

كيف يمكنك الوصول إلى نقاء في الفكر وفي الأحاسيس، وكيف يمكنك تنمية ملكاتك الإنسانية وقابلياتك لكي تكون من الربانيين دون أن تتملص من الشهوات الجسمانية والشهوات البهيمية وتعلن عصيانك عليها؟

* * *

إن كنت ترغب الوصول في حياتك القلبية إلى "التوحيد" وتذوق اللذائذ الروحية وتغرق فيها... كيف يتسنى لك هذا وفي جوانحك تتراقص ألف رغبة وهوى؟ وكيف يتسنى لك هذا وأنت تستجيب في كل منعطف إلى رغباتك الجسدية؟

* * *

إن كنت تتمنى الانطلاق إلى الأعالي، وتسمو إلى عوالم وراء هذه السماوات... إن كنت تتمنى هذا فكيف يليق بك التعلق بأوحال هذه الدنيا كطفل ساذج؟

* * *

أنت تنتظر على الدوام فجراً جديداً يطل على أفقك، ولكن كيف يمكن ذلك دون أن تزين قلبك بالمثل السامية، ودون أن تأخذ مكانك وموضعك القديم، ودون أن تكون صرخة تدوي في سمع الدنيا؟

* * *

أنت تريد جلب حلول للمشاكل المزمنة المتراكمة منذ عصور وعصور... كيف يمكنك ذلك إن لم تملك أملاً، وإن لم تملك عزم وصبر الانتظار سنوات وعصوراً؟

* * *

أنت تتحدث عن تقدم الوطن وعن سعادة المواطنين... ألم تفكر كيف يتسنى هذا إن لم تؤلف بين المدرسة والمعسكر والتكية ولم ترتفع بأجيال هذا المثلث فوق جميع مثلثات الشيطان؟

* * *

إن كنت تروم عيش حياة الروح والقلب، وإن كنت تصبو إلى التسامي في مشاعرك وعواطفك... إن كنت تروم هذا فكيف تحصل عليه دون الصوم حتى الغروب؟

* * *

أنت تروم جعل دول الدنيا تحترمك وتحسب لك الف حساب... ولكن قل لي كيف تستطيع ذلك إن لم ترجع إلى نفسك وترمي عنك لباس المسكنة وتكون مثل محمد الفاتح أو السلطان ياوز؟

* * *

أنت تتوقع أن تكون أمام جميع الأنظار دوماً، وأن يُصفق لك ويُهتف بإسمك، ولكن أنّى يكون هذا وأنت تنكث عهدك كل يوم خمسين مرة؟

* * *

أنت ترى نفسك دون أي نقص أو قصور، وتريد من الآخرين أن يروا هذا الرأي ايضا... ولكن أنّى يكون هذا وأنت تحمل على ظهرك ألف إثم كل يوم؟ وكيف يمكن هذا وتصرفاتك في المجتمع تنم عن تناقضات عديدة؟

بلية اللسان

الثرثرة مرض يدل على عدم توازن العقل والروح. والكلام المعقول والمقبول هو الكلام الذي يصل إلى عقل المخاطب عن أقصر طريق ودون تشويشه. ولكي تفهم مخاطبك شيئاً لا تحتاج إلى ثرثرة طويلة، بل إن الثرثرة تجلب أضراراً في أحيان كثيرة. لأن الكلام الكثير قد يحتوي على تناقضات عديدة ويجلب أسئلة جديدة لفكر المخاطب، وهذا الأمر أقرب إلى الضرر منه إلى النفع بالنسبة إليه.

* * *

الإنسان العاقل هو الإنسان الذي يدع فرصة الحديث والكلام للآخرين ويُؤَمِّنُ فرصة لتحدث الآخرين -ممن يرجو منهم الفائدة له وللغير- أكثر من تحدثه هو.

والحقيقة أن تحدث الآخرين أمام من تنور عقله بنور الكون وقلبه

بالمواهب الإلهية يعد عدم احترام وعدم توقير، كما أن صمت أمثال هـــؤلاء الأشخاص الكاملين يعد خسارة للمجتمع.

* * *

التحدث قليلاً والاستماع كثيراً أمارة من أمارات الفضيلة والنـــضج في الإنسان. أما شهوة إجبار الآخرين للإنصات والاستماع له وإن لم تـــدل في كل حين على مرض نفسي، إلاّ أنها بلا شك علامة من علامـــات عـــدم التوازن وعدم الحياء في الإنسان.

* * *

يجب أن يكون كل كلام إما لحل مسألة أو إجابة على سؤال. ويجـــب الانتباه عند التحدث ألا يكون سبباً وجالباً لملل وسأم السائل او المستمعين.

* * *

من الطبيعي أن يصمت الإنسان عند وجوب الصمت، ويتحدث عنـــد وجوب الحديث. غير أنه من الأفضل أن يتكلم أكثر الأشخاص إفادة. وهذا مرتبط بالأدب وبفهم فضيلة السكوت. وما أحسن ما قاله أجـــدادنا: "ان كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب".

* * *

لا ترتفع قيمة الإنسان وقدره بطول كلامه، بل بمدى فائدة هذا الكلام، بل على العكس فالشخص الذي يتحدث على الدوام سيقع في أخطاء كثيرة لا سيما إن كان حديثه يتناول مواضيع فكرية دقيقة أو مواضـــيع تتطلـــب الاختصاص، فيخل بذلك بقيمته ويهبط بمنـــزلته، وما أصدق من قال: "من كثر كلامه كثر خطؤه".

* * *

يُظهر الإنسان نفسه بكلامه، وتعكس تصرفاته وســـلوكه سمـــو روحـــه. والشخص الذي يتصور أن من واجبه أن يدلي في كل موضوع بدلوه ولا يدع فرصة الحديث للآخرين... مثل هذا الشخص الثرثار سرعان ما يقابل بـــالنفور

والضيق من قبل أصدقائه ويتعرض لإهاناتهم. وفي مثل هذا الوضع قد نفقد فرصة الاستماع إلى آراء جيدة من الآخرين، كما أن حقائق سامية ستتعرض للاستهانة وللهزء لكونها صدرت من فم ثرثار، وهذا عدم توقير لها.

* * *

لقد كان شعار قلة الكلام شعاراً من شعارات الناضجين إلى جانب شعار قلة الأكل وقلة النوم. وأول وصية لمن يريد تربية ملكاته الروحية هو وجوب سيطرته على لسانه والحذر من الكلام عشوائياً. والذي يفتح فاه ويكثر من الهذر... مثل هذا الشخص قد يسوقه لسانه هذا – الذي يكون عادة أكبر من عقله وأطول – إلى الخسران هنا في الدنيا وفي الآخرة ايضاً.

* * *

أما الذين يدعون فعل ما لم يفعلوا فأمرهم أمرّ، وحالهم أسوأ. لذا فقد بين الصادق الوعد الأمين أن المحافظة على اللسان وعلى ما بين الفخذين وسيلة وطريق من طرق الوصول إلى الجنة.

* * *

على قدر ابتعاد الإنسان عن مرض العجب بنفسه وبكلامه وعن عدم إعطاء فرصة الحديث للآخرين يكون قريباً من الخالق ومن المخلوقين ومحبوباً لديهم، وبعكسه لن يجد المكانة التي تأملها لا عند الخالق ولا عند الناس.

في طريق الأبدية

وجودنا مستمد من وجود الخالق تعالى، وعظمته تحيط بالكون وبالكائنات، ونوره يتألق في كل شيء. السماوات والأرض لمعة من بريق نوره، والوجود كله عبد خاضع لديه. هو المحراب الأبدي لكل قلب واصل إلى الحقيقة... هو الوجود الوحيد للأولياء العارفين الذين سموا بأحاسيسهم

إلى الأعالي... هو القبلة الوحيدة... مجنون من تركه وتوجه إلى غيره... ومخدوع من شكى حاله لسواه... من ترك بابه خسر خسراناً أبدياً وضل طريقه... القلوب التي لم تتنور بنوره تركض وراء السراب، وتتعب دون جدوى... الكون مضاء بنوره ومنقلب إلى كتاب... والزمان يغدو بالأنفاس السحرية اللاهثة في طريقه من كونه شيئاً نسبياً ويكتسب معنى وقيمة.

* * *

هو الذي أوجد الأشياء وقدرها تقديراً وجعلها تتكلم بألف لسان ولسان.. لولاه لما وجد أي شيء من نفسه، ولولاه لما انتظم أي شيء... بعنايته تحول الكون إلى إنسان، والنظام إلى لسان ولغة. كل شيء يهمس به، وكل شيء تمثل بجماله. إن لم يكن الوجود مرآة له فما فرقه إذن عن حديد صديء؟ وهل يكون الإنسان إنساناً إن لم يذكره ويعرّفه؟ آه أيتها الأرواح المظلمة! وآه أيها الصُمّ عن صراخ القلوب! متى سينتهي لهوكم بالدمى، والى متى ستغمضون عيونكم عن الحق؟

* * *

ولأن الإنسان ألفى نفسه موجوداً في عالم تحيط به المادة من حواليه، وجد نفسه يؤمن أول ما يؤمن بما يصل إليه من هذا العالم بوساطة حواسه الخمسة، ثم يقوم بتفسير معاني الأشياء ويكسر القيد الحديدي عن عنقه ليرى الحقيقة الموجودة في قلبه. ولكن هناك من يبقى طوال حياته أسيراً لهذا الطوق الحديدي حول عنقه فلا ينجح في التقدم خطوة واحدة إلى الأمام. لذا كان علينا عندما نتناول الأشياء المحيطة بنا أن نقرأها ككتاب وأن نستمع إليها كنغمة ونشيد. في هذه القراءة والاستماع علينا ألاّ نغفل عن كاتب هذا الكتاب وملحن وقائد أوركسترا هذا النشيد، وإلا فإن الغافلين لا يسمعون أنفاس الحقيقة ونبضها في قلوبهم. ومهما غرقوا في الأدلة المستقاة من دراسة الكون فلن يستطيعوا معرفته، ولن يستطيعوا المثول بين يديه.

والأرواح البائسة التي لا تستطيع -ببيانه وبكتابه تعالى- رفع الأستار عن عيونها وآذانها لا تستطيع الارتفاع لمعرفة الحقيقة في وجدانها، أي لن تستطيع معرفته... معرفة كاتب كتاب الكون.

* * *

يا من وُجدنا بوجوده وتنورنا بنوره! يا صاحب الرحمة اللانهائية الذي أنقذنا برحمته من ظلمات النفس الأمارة! لو لم يكن نورك الأزلي الذي تنورت به الكائنات لما استطعنا رؤية أي شيء على حقيقته، ولما استطعنا إصدار أي حكم صائب. وُجدنا جميعاً بعنايتك أنت، فلتكن عنايتك معنا... تعلمنا الحقيقة من علمك، ولو لم تتلطف بإلهام أرواحنا عن وجودك كيف كنا نعرفك؟ ومن أين كنا ندرك وجودك؟ وكيف كنا نصل إلى الاطمئنان؟

* * *

جعلت كل موجود لساناً، ومن بين هذه الألسنة جعلت الإنسان بلبلاً، فلا عدمنا من يعرّفك! أجل نثرت الآيات التي تتحدث عنك في كل أرجاء الكون، وجعلتنا نقرأ هذه الآيات، وأَسْمَعْتَ قُلوبنا صَوْتَ الحقيقة، فبدأنا نحدس بفضل هذا العلاقة بين الموجد والموجود... بين الخالق والمخلوق... وبشوق وفوران هذه الحقيقة في قلوبنا بدأنا نرتفع نحوك، ونتخلص من ظلام النفس ومن دوامات الرغبات الجسدية ونصان منها.

عندما عرفناك وصلنا إلى لب المعرفة وأدركنا سر الجمال الذي نقشته في روح الأشياء. لذا فإن كنا نحدس الحكم الموجودة في سيماء كل وجود، ونسمع في كل صوت في الطبيعة موسيقى ساحرة ونغمات حلوة فكل هذا بفضلك أنت... نثرت اللوحات الرائعة للجمال الموجود في الكون، أي في كتابك المذهل، فأثرت قلوبنا بالوجد. وفككت عقال ألسنتنا أمام هذا الجمال الذي أنت صاحبه، فسالت منها روائع البيان. ولو تأملنا جمال كتاب الطبيعة الذي لا مثيل له مئات المرات، واستمعنا إلى النغمات التي تهمس

بوجودك مرات ومرات، وعرضنا ذلك بوجد على المشاهدين المشتاقين إليك، لما ارتوينا من هذا العالم النوراني، وبقينا في شوق لسماعك والإنصات إليك، وبقينا في لهفة وفي وجد إليك وحدك.

* * *

يا سلطان الوجود الذي جعل قلوبنا عارفة بصور جماله الخفي! كم ألف مرة حاولوا أن يعرّفوك من الأمس حتى اليوم، وكم كأسا من كؤوس كوثر حبك قدموا لعطشى حبك! ولكن أيمكن لصاحب هذا الصوت الخافت، ولصاحب نغمة هذه الربابة المكسورة في هذه اليد العاجزة أن يقول شيئاً بجانب النغمات السحرية لتلك الأرواح المشعة نوراً من سالكي الطريق الموصل إليك؟ ولكننا نلوذ بحمى لطفك ومسامحتك وبكرمك الذي أعطى للجميع حرية الكلام والحديث. لذا أقبلنا على بابك الواقف أمامه أمراء البيان والبلاغة ونحن نخفي من الحياء وجوهنا بنقاب ونقول: "هذه هي بضاعتنا المتواضعة من النغم..." نقول هذا ونطلب العفو والصفح.

ومع هذا، فإن الكلام الحقيقي في هذا الموضوع يعود أيضاً إليهم. نحن نعترف بهذا مرة أخرى، فبجانب بيانهم الذي يشبه الشلال الهادر نحاول نحن أيضا الحديث عنك وعن قدرتك وحكمتك اللانهائية.

لقد استمعنا حتى الآن إلى بعض المرشدين إليك، وأنصتنا إلى أصواتهم، وحاولنا فهم إشاراتهم. ومن خلال النوافذ التي انفتحت في قلوبنا وبالإشارات المختلفة الواصلة إلينا من هؤلاء المرشدين نحنّ إلى أن نراك في كل شيء، ونسأل عنك كلَّ شيء، ونرتفع إليك من طرق مختلفة.

نوّر أعيننا وبصائرنا بنورك واشف صدورنا. وَهَبْ السعادة الأبدية لنا... لعبيدك الذين لا يريدون العتق من العبودية... وعرفهم بنفسك أكثر لكي يدلوا الحائرين إلى طريقك وينجدوهم. فالعفو يليق بك... والإرشاد إلى طريقك يليق بهم...

نقاط الالتقاء والاتحاد [1]

تحفل أيامنا الحالية بالكثير من التيارات الفكرية، وهذا شيء طبيعي، ذلك لأن الإنسان الحالي يعيش أزمة خانقة، فكما تشكل الشكوك أساس العلم، إذ تسوقه للبحث والتدقيق، كذلك فإن الأزمات هي منشأ التيارات الفكرية.

نرى أن المجتمعات المعاصرة التي تم إشباع جميع حاجاتها تقل فيها المشاكل الاجتماعية إلى درجة الانعدام. أما المجتمعات التي لم تشبع حاجاتها المادية والمعنوية، ولم تستطع تنمية تطورها الطبيعي ولم تتسارع هذه التنمية لديها فنرى تزايد الضغوط الخارجية والداخلية فيها ثم زيادة أزماتها.

إنَّ الأزمات والاضطرابات الاجتماعية تشبه نزول الثلج وهبوب العواصف، لذا تكون في الأكثر حميدة من ناحية العواقب والنتائج، لأن هذه الأزمات تعمل على تجديد المجتمع وتساعده على فهم طبيعة العصر الذي يعيش فيه. لأن المجتمع إن لم يدرك طبيعة العصر الذي يعيشه، ولم يستطع التفاعل مع أحداث عصره فلا يمكن القول أنه يعيش ذلك العصر، بل نقول إنه في طريق التفتت والانقراض.

لا شك أن الهزّات والضغوط الداخلية والخارجية وراء هذه الأزمات ذات الطابع العالمي، ووراء مقدمات محاولات التغيير والتبديل وفتح باب لتشكيل بنى جديدة. والأمة التي لا تنقرض بسبب هذه الأزمات والهزات والبنى الجديدة ستأخذ نصيبها وتستطيع المساهمة في تكوين عالم جديد.

لا يمكن أن نستثني أمتنا والأمم الأخرى التي نرتبط معها من هذا الأمر، بل إن من قدر هذه الأمم التعرض أيضاً إلى الأزمات والهزات وتجرع المصاعب والآلام.

---

(١) كتبت هذه المقالة في السبعينات عندما كانت الفوضى والاغتيالات تضرب أطنابها في تركيا. وكان موضوعها كيف نستطيع التغلب على هذه الفوضى. نشرت عام ١٩٧٨ كمقدمة لكتاب كان تحت عنوان "مسار الصلح" الذي تناول أمر كيفية تأمين وحدة البلاد. (المترجم)

ولكن المسألة الأساسية هي إنشاء التجديد على أساس من المبادئ السليمة والقوية التي لا تشيخ ولا تهتز. لأنه إن لم تُعرف القوانين الاجتماعية حق المعرفة، وإن لم يتم العلاج بشكل علمي فإن كل شيء سينقلب رأساً على عقب.

وهكذا فنحن اليوم أمام مفترق الطرق: إما أن نبقى أو نزول. فبعد كل هذه الأزمات الخانقة إما أن نذعن لسلطان العقل كأمة وننجح في تأسيس العالم الذي نتصوره ونتخيله فنصل إلى شاطئ السلامة أو -والعياذ بالله- نتقهقر إلى الوراء بسبب مصالح ضيقة ومنافع آنية تجعل نتائج كل هذه الآلام التي تجرعناها هباءً منثوراً ودون أي ثمرة.

من أهم المواضيع الاجتماعية موضوع الاتفاق والفرقة، أو الوحدة والاختلاف، ويكتسب هذا الموضوع الآن أهمية أكثر بكثير من السابق لأن التهيؤ لمناخ جديد أصبح ضروريا ومن الأمور المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها حالياً، لذا كان لهذا الموضوع الآن أهمية استثنائية، وبدأ يشغل مكانه في مقدمة المسائل الاجتماعية.

إن هذه الفرقة والاختلاف الذي لا مبرر له والذي دفعت الأمة بسببه ثمناً باهظاً ولعدة عصور، بلغ درجة مقلقة في هذه الأيام التي باتت القيادة في يد الأحاسيس والمشاعر وليس العقل. ويمكن القول دون أي تردد أنه لا يوجد ولا يمكن تصور وجود خطر أكبر من هذا الخطر الداهم أمام نهضتنا من جديد.

إن مجتمعنا اليوم ضعيف من ناحية بنيته العلمية والفكرية وفقير من جهة حياته الروحية والقلبية ومحروم من القيادة والتوجيه إلى درجة يرثى لها. وما لم يتم القضاء على مثل هذه الأجواء التي تغذي التعصب وعدم المسامحة فمن العبث الحديث عن الاتفاق والاتحاد.

ذلك لأن التفاهم والتوافق مسألة عقلية ومنطقية. والوحدة التي تستطيع الاستمرار والبقاء هي الوحدة المبنية على العقل وعلى المنطق وعلى القلب

بينما الإخاء والوحدة الموجودة حالياً إخاء ووحدة قائمة على الأحاسيس والمشاعر في الأغلب. ومثل هذه الوحدة تكون ضعيفة وناقصة وغير كافية وقصيرة العمر. وهي عبارة عادة عن تجمعات ضد مجموعة معينة، أو اجتماع ولدته مشاعر الانتقام، أو اتفاق من أجل هجوم أو لصد هجوم... مثل هذه التجمعات القائمة على أساس من أحاسيس ومشاعر فوارة ليست إلاّ تموجات وحركات وقتية سرعان ما تزول، وهي بعيدة من أن تكون كافية لا من الناحية الكمية ولا من الناحية النوعية لبلد ولأمة محاطة بالأعداء من جميع الجهات. أما من زاوية مبادئنا المقدسة فبعيدة جداً عن التصويب أو التجويز كما لا تعني شيئا بالنسبة لمستقبل أمتنا.

إذن فهناك ضرورة قصوى في تناول العوامل التي تشكل أساس وحدتنا تناولاً عقلياً يأخذ في نظر الاعتبار أيضاً جميع عوامل التفرقة الداخلية منها والخارجية. أي يجب تعيين الغايات والوسائل والأهداف والمقاصد من جديد مع الارتباط بموثق وعهد قلبي. فلأجل تأمين وحدتنا التي هي أساس سعادتنا المادية والمعنوية وسعادتنا في الدنيا وفي الآخرة نحتاج إلى صيغة اتحاد حاجة ماسة جداً.. في الأقل كالاتحاد الأنكلوسكسوني والغال.

ومع أننا لا نتقن فن إشغال أعدائنا وعدم إعطاء فرصة لهم للتفكير أو التدبير ولا نملك مثل هذه الدراية والقابلية، فالمطلوب منا في الأقل إبداء النضج الضروري في عدم الوقوع في مصايد الأعداء وعدم قيامنا بحفر قبورنا بأيدينا.

الاختلاف في الفكر والفهم نتيجة طبيعية لاختلاف التكوين والخلق فهذه إرادة الله تعالى وله فيها رحمة وحكمة. ولكن الإنسان مكلف أيضاً بتأمين النظام والتلاؤم الموجود في الشريعة الفطرية بارادته. ومع أن قانون الجبرية يحكم العالم الكبير (الكون) إلاّ أن الإرادة الإنسانية التي تعد شرطا عاديا لها دور في عالم الإنسان.

ومع أن الوجود الأول مرتبط بإحسان وإنعام، إلا أن كل إحسان بعده يستند إلى سبب. ولكي يتم الوصول إلى نعمة وفضل الوفاق الاجتماعي

فعلى القلوب أن تكون اجتماعية وتبتعد عن الأنانية وتكون مليئة بحب الإنسانية وبالشهامة والمروءة. وما لم يتم الابتعاد عن الأنانية وعن عبادة النفس وإرجاع كل شيء وكل الوسائل والأهداف إلى سلطان النفس الذي هو شرك خفي والقول: إن لم يكن هذا العمل بيدي فلا أريده حتى وإن كان خيراً ما دام يتم بيد الآخرين وليس بيدي.. إن لم يتم التخلص من مثل هذه العقلية التي ترى أن الحق فقط معها وتابع لها، والتي تكفر وتضلل وتجرم كل من لم يتبعها، وإن لم يتم تخليص القلوب من مثل هذا التعصب الأعمى فلا يمكن الوصول -حسبما أرى- إلى أي تفاهم أو اتفاق.

قبل كل شيء فإن من الطبيعي وجود الاختلاف في التفكير إذا استثنينا وجوب الاتفاق في القواعد والأركان والأصول الأساسية. فلا بد من إبداء المرونة أمام من يخالفوننا، في الأقل مثلما نبدي المرونة مع الأجانب أو نبدي البشاشة لهم. فهذا شيء ضروري ومطلوب وأمر لا مفر منه لوحدتنا ولبقائنا.

ثم إن هناك عوامل انقسام عديدة لا يمكن التهوين من شأنها تهدد وحدتنا الضرورية والمقدسة، واعترافنا بها اعتراف بالواقع:

١. نتيجة لبقاء الخدمات الدينية دون راع أو صاحب، ثم قيام مختلف الأفراد ومختلف الجماعات بهذه الوظيفة، وعدم وجود زعيم ومرشد مقبول لدى جميع هذه الجماعات والأفراد أدى إلى قيام كل جماعة باتباع طريق مختلف. فبعضهم فتح مدرسة تحفيظ للقرآن في كل قرية، واهتم بعضهم بنشر الكتب الإسلامية وقراءتها، وفضل آخرون تربية الأفراد وتثقيفهم ثقافة جيدة، ودخل آخرون إلى معترك السياسة... ولا شك أن كل جماعة قدمت جهودها هذه لخدمة الأمة. أي أنهم كانوا في خدمة الدين والأمة ولكن بأساليب وطرق مختلفة.

٢. إن قيام كل جماعة من هذه الجماعات بعدّ زعمائها ومرشديها "مجَدِّداً" أدى -ولو كان بنية صافية- إلى الاختلاف. لأن مفهوم "المجدد" -

ما دام موجودا في ضمائر المسلمين وسيبقى إلى يوم القيامة- هو الشخص الذي يشتهر بعلمه وعمله في عصر يموج بالفتن والعداء للدين فيتبعه من يتبعه، ومثل هؤلاء سيوجدون في كل زمن وعصر. ويمكن إطلاق اسم المجدد على من يوجه ويربى فكر وروح الجماهير وينفخ الحيوية في حياتهم الاجتماعية. ومع أن هذا الأمر قد لا يكون ضاراً بالنسبة لأتباع المجدد، إلاّ أنه يكون وسيلة خلاف وفرقة لدى بعض الجهلاء والسذج.

٣. يمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لمسألة "المهدي". فعقيدة المهدوية قد تكون وسيلة أمل للفرد وللجماعة في عصر الفتن الكبرى الدالة على اقتراب الساعة. أجل! ففي ذلك الزمن العصيب الذي تتزلزل فيه العقيدة، ويُترك فيه العمل، وتُهمل فيه الشريعة نحتاج إلى شخص فذ يستطيع إنجاز ما نعجز نحن عن إنجازه ويصلح الفساد. وهذا المفهوم -إن وضعنا جانبا جانبه الطوبائي المثالي- ليس أمراً غريبا عن الفكر النقي، إلاّ أن العظمة المسندة لفرد، وكذلك التعصب الموجود لدى الجماعة يكون في الأرجح سبباً في الفرقة.

٤. وعلاوة على هذا يجب علينا أن نأخذ في الحسبان القوى الخارجية التي تبذل جهودها في سبيل إذكاء نار الفرقة بيننا. وهناك أمر واقعي لا يمكن تجاهله، وهو أن الكثير من جيراننا وكذلك من الأمم المعاصرة الأخرى لا تغفر لنا نحن الذين أنشأنا الإمبراطوريات وكان لنا تأثير كبير في توجيه الإنسانية هذا الأمر. وحروب ومعارك الهلال والصليب المستمرة منذ ألف عام والموجهة ضدنا ليست إلا تعبيراً عن العداء لأمتنا. إن مقاطعة أمريكا لبيع السلاح[1] لنا ومقاطعتها التجارية لنا وعدم اكتراث حلفائنا بكثير من مسائلنا الدولية، ونظرة الدول الغربية إلينا، حتى الدول التي نشترك معها في أحلاف نظرتهم إلى دولة من الدرجة الثالثة تبرهن على أنها لا تتصرف معنا تصرف الأصدقاء. لذا فما لم نكن عميانا لا يمكننا عدم رؤية أن

(١) دامت هذه المقاطعة الأمريكية أكثر من عشر سنوات، وذلك بعد التدخل العسكري التركي في جزيرة قبرص لإنقاذ سكان الجزيرة من الأتراك من مذابح اليونانيين القبارصة. (المترجم)

كل هـــذه التصرفات الســـلبية تخفي وراءها نيات ســـلبية تجاهنا.

إن هذه التصرفات السلبية وإن بدت اعتيادية من زاوية العلاقات الدولية، إلا أنها حقيقة تاريخية. وهذه الحقيقة التاريخية التي تخفي دون شك وراءهـــا ذهنية وتفكيرا آخر، أصبحت مجال عمل العديد من المخابرات الأجنبية.

لقد تبدل شكل الخطر حالياً عما كان في الماضي، ذلك لأن الخطـــر في السابق كان آتياً من الخارج، أما الآن فهو يأتي من الـــداخل أيـــضاً. لـــذا فمقاومته أصبحت أصعب، كما أن السقوط الأخلاقي الذي سرى كوبـــاء إلى جميع مفاصل المجتمع هدم الركائز التي تحفظ المجتمع وسوى بها الأرض. أما جيلنا الذي انتزع منه التوقير والاحترام لقيمنا المقدسة بوساطة النمـــاذج المجنونة لما سموه بالخلق اللاديني والخلق الفوضوي والخلق الـــشيوعي، هـــذا الجيل أصبح ضحية للفكر وللروح المشوه، وغافلاً عن تخبطه في فوضى مخيفة من المصطلحات والمناهج.

لا يمكن لأحد أن يدعى أن هذه الفوضى واختلاط الحابل بالنابـــل لم يؤثر على أهل الإيمان، وهو موضوع يحتاج إلى الانتباه والبحث. إن القوى الخارجية كثيرا ما تمد يدها إلى المفاهيم المذهبية أو إلى المدارس التصوفية أو إلى نبش المسائل العنصرية والعرقية، لذا يجب الانتباه والحذر. صحيح أنه لا يوجد دليل جدي على انخداع الجماعات الدينية بمثل هذه الإيحاءات أو أنها تمول وتدار من قبل القوى الخارجية (رغم ورود مثل هـــذه الادعـــاءات والشائعات في حق بعض الجماعات)، إلاّ أن الشواهد على أن الجماعـــات القرآنية والإيمانية لا يمكنها تلقي الأوامر من الخارج أرجح وأقوى. غير أننا لا ننسى أن ظهور التعصب في بعض الجماعات التي لم تصل إلى النـــضج الفكري والروحي المطلوب شي واقعي وموجود، مما يؤدي إلى احتكاكات داخلية، وهذا يخدم الآمال الشريرة للأعداء دون قصد منها.

إن الجماعات الإسلامية في تركيا وفي العالم الإسلامي معرضة في كـــل

لحظة للأخطار الآتية بكل تأكيد:

١. استغلال حب الجاه والشهرة لدى بعض زعماء هذه الجماعات ودفعهم إلى التنافس مع الجماعات الأخرى.

٢. ظهور محاولات هدم الجماعات الأخرى تحت دعوى العمل باسم الإسلام.

٣. ترقب ثمرة آنية في الدنيا من كل عمل صغير أو سعي قليل، مع أن استحصال ثمرة العمل يكون في المستقبل البعيد عادة، وربما في الآخرة.

٤. من أجل كسر المساعي والجهود الإيجابية المثمرة والمستمرة لجماعة ما يتم تشكيل وتكوين جماعة أخرى لكي تكون بديلة عنها، ثم إحداث احتكاك بينهما وإنتاج الشقاق والفرقة واستهلاك جهود تلك الجماعة.

٥. بدلاً من قيام الجماعات الناذرة نفسها لخدمة الأمة بالعيش في ظل المحبة التي من المفروض أنها شعار طريقهم ومشربهم... بدلاً من هذا انشغالها بالعداوة مع الآخرين، وإضاعتها بهذا وسيلة مهمة للتوفيق الإلهي.

وعلاوة على هذا نستطيع ذكر عدم إشباع روح إنساننا الحالي مما جعله سهل الانقياد إلى بعض النظم الفكرية التي تشكو من الفراغ القلبي والروحي، مما جعله يبتعد عن قلبه وضميره.

وهكذا بينما ابتعد إنساننا عن كل ركيزة داخلية ووجدانية من جهة تم توجيه انتباهه -من قبل شرذمة قليلة أو أقلية مرفهة تعيش حياة سائبة ومخمورة- من جهة أخرى إلى جو من الانطلاق البهيمي، والى دغدغة شهواته، وإبعاده عن خطه الإسلامي. وهذا موضوع وأمر يجب الوقوف عنده بعناية.

إن علماء الاجتماع والإنتروبولوجيا[1] متفقون على أنه ما من جماعة

(١) الانثروبولوجيا: أو علم الإنسان، وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وعقائده وتقاليده وعاداته. (المترجم)

بشرية عاشت دون دين. إذ لم يتم العثور في أي دور من أدوار التاريخ وفي أي بلد من البلدان على مجتمع لا ديني. لأن الإحساس الديني إحساس فطري وطبيعي. وحرمان الإنسان من هذا الإحساس يؤدي إلى قلق وكآبة في الفرد وفي المجتمع. فالإنسانية ستبحث عن طرق أخرى لإشباع نفسها وإرواء ظمئها الطبيعي بطريقة مدروسة أو غير مدروسة. وعندما يقوم كل إنسان بالبحث عَمَّا يطفئ غليله وذلك حسب مشربه وذوقه، فليس من العسير- حسب ظني- تصور الفوضى الناتجة من هذا. والنتيجة الحتمية لهذا هو فوضى القيم ثم النزاع الدموي كنتيجة طبيعية. هذه هي الحال البائسة للوطن الآن الغارق في الفوضى نتيجة هذه الفلسفة والنظرة إلى الحياة دون أخذ الفطرة والطبيعة الإنسانية في نظر الاعتبار.

في فوضى المفاهيم هذه من المفيد الوقوف على موقف المتفرنجين ومقلدي الغرب. فالدين عند هؤلاء يعني الرجعية، والوطن يعني الطورانية، والأمة تعني الفاشية. ومن الصعب أن تفهم ما يكتبه هؤلاء الراكضون وراء السراب منذ أكثر من قرن ونصف قرن، إذ بينما نراهم يربطون كل الطرق مع الغرب ويسيحون في تلاله وسهوله، ويصبح الغرب قبلتهم الوحيدة لسنوات وسنوات فأنت لا تجد لدى هذه الفئة الغريبة أي فكر جدي. ثم إذا بهم يمطرون الغرب بكل قواهم بوابل من الرصاص ويدمغونه بالاستعمار والإمبريالية. وهذا يعني أن "التغرب" وهذا يعني أن التغرُّب أو عدمه لم يكن نتيجة فكر وتحليل وتأمل بل نتيجة إعجاب أجوف وحب مغامرة.

وخلاصة القول إن القيام بتخريب المعاني الدينية والملية في هذه المرحلة بينما أدى إلى تنشئة فريق من الملحدين من جانب، أدى من الجانب الآخر إلى نشوء وظهور جماعات متعددة لا يعرف بعضها البعض الآخر حاولت القيام بتقديم خدمات دينية واجتماعية لسد هذه الحاجات المشروعة. ولكنها لا تملك مناهج محددة ولا أساليب مدروسة. وحاولت كل منها -بمعزل عن الجماعات الأخرى- أن تشغل ساحة من ساحات الخدمة في هذا المجال.

وحدثت فيما بينها نزاعات مريرة مؤسفة ونقاشات حادة بين فينة وأخرى، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. وعندما يغيب الإخلاص من أي عمل، ويتدخل حب النفس وضيق الأفق في الأمر فإن فوضى هذه النزاعات والاختلافات تأخذ أبعاداً كبيرة يصعب علاجها. في وسط كل هذه الغوائل والمصاعب أصبح قيامنا حتى بحفظ كياننا ووجودنا بدرجة كبيرة من الصعوبة. لذا فإن دوام توسعنا ووصولنا إلى مراحل نمو كبير بفضل ربنا الكريم يستدعي منا الحمد والشكر.

الرغبة في التجمع داخل مجموعات إحساس موجود في فطرة الانسان، ولا بد من ظهوره. والمهم هنا جعل هذا الإحساس مفيداً دون ضرر في الأقل. فإن لم يوجه هذا الإحساس توجيهاً حسناً تطور ونما بشكل يضر بالإنسان وبطبيعته. فإن غُذي هذا الإحساس والشعور بأمور سلبية في الإنسان كالجهل والتعصب وضيق الأفق فانتظر عند ذلك النزاعات الدموية. وعلى العكس من ذلك إن كان العلم وسعة الأفق والتسامح والمرونة موجودة في المجتمع، ظهر التفاهم والتعاون بين الجماعات، ووصلت إلى رسم خط السلام فيما بينها، وسكنت ردود أفعالنا الغاضبة الموجودة في فطرتنا وسيطرنا على مشاعرنا.

لما كانت الدعوة واحدة والحق بجانبها والأهداف والمبادئ الأساسية واحدة فإن الاختلاف في الوسائل والطرق يجب ألاّ يكون سبباً للخلاف والفرقة. ويجب أن يكون الوعي من الرسوخ والثبات بحيث لا يعطي مجالاً لهذا الخلاف. وإلاّ فإن ظهور بوادر الخلاف والفرقة بمعاذير واهية يعد مزاجاً صبيانياً ودليلاً على عدم وجود المروءة أو الإحساس بالحق والسعي من أجله. والحقيقة أن الطرق المؤدية إلى الله تعالى متعددة بتعدد الأنفس والأمزجة بشرط بقائها ضمن دائرة أهل السنة والجماعة. ويجب أن يحترم كل طريق من هذه الطرق وتؤيد كل خدمة مقدمة.

إن النظر إلى الآخرين وكأنهم كفار أو ضالون أو آثمون أمر خطير ولا

فائدة ترتجى منه حيث يستطيع كل واحد أن يدعو إلى طريقه ويعلن عنه ويعيش بحبه. فهذا هو طريق المنطق والعقل ومنطق الإيمان والقرآن كذلك. هنا ينشغل كل واحد بطريقه وبمسلكه بكل حب، ولا يحمل في قلبه حقداً وضغينة للجماعات الأخرى، ولا يكون نقده لها نقداً عدائياً وهداماً ولاذعاً، ولا يرى صعود جماعته وتقدمها مرتبطاً بإنكار وتضليل الجماعات الأخرى، بل يشعر بأن شعور الأخوة يربطه معها، فلا يبحث عن هفواتها وأخطائها. وعندما يرى فضائلها وخدماتها يفرح ولا يتأخر عن تهنئتها. والخلاصة، يرى نفسه في سباق خير مع الآخرين، ولا ينسى لحظة واحدة أنه مشترك مع الآخرين في حمل كنز ثمين وأمانة غالية. وعند ذلك يعد الآخرين الذين يسيرون معه في الاتجاه نفسه وللغاية نفسها أصدقاء ومعاونين له، فيعظم كل نجاح، ويصفق لكل سعي مشكور، ويقبل كل يد تمتد بالمعونة.

في العهد النبوي الكريم كان هذا هو الفهم السائد بين الناس، وكان الواقع العملي المعاش على هذا النمط. فالجو العام كان مشبعاً بروح الأخوة وروح التآلف، ولم يتعرض أصحاب القابليات المختلفة والمتعددة لأية ضغوط. ففي الأمور الفرعية لم يكن اختلاف وجهات نظر أبي ذر عن عبد الرحمن بن عوف، ولا بلال عن عثمان رضي الله عنهم جميعاً بالاختلاف البسيط أو الهين، ولكن لم يستغرب أحد مثل هذه الاختلافات.

ضمن مقياس معين لم يتعرض أحد لنقد حب العشيرة أو القبيلة إن لم يؤد هذا الحب إلى إلحاق ضرر بالوحدة الاجتماعية. فكما لم يتعرض أحد إلى العنوانين المشرفين مثل عنوان المهاجرين وعنوان الأنصار، كذلك بقي اسما الأوس والخزرج. وعندما قال الرسول ﷺ لقبيلة سعد بن معاذ: "قوموا لسيدكم" كان متلائماً مع الطبيعة البشرية. كما كانت كل قبيلة تذهب إلى الجهاد تحت قيادات مختلفة. ولكن الجهاد في سبيل الله وحده كان هو الغاية الوحيدة لهم. وكما كان يسمح للمفاخرة فيما بين هذه القيادات ويغض عنها النظر بشرط ألاّ تنقلب إلى جدال أو خصام.

"الحُفّاظ من عندنا، وفلان من عندنا...الخ" مثل هذه المفاخرات لم يكن منها بأس، وتقابل بالمسامحة. فقد كانت من العوامل المساعدة في السمو السريع لهؤلاء.

أجل! كل هذا كان موجوداً ولكن الاتفاق والتناغم كان موجوداً أيضاً. ففي سبيل الحصول على مرضاة الله تعالى كان هناك انسجام وتناغم بين الأفراد كالانسجام الموجود بين الأصوات في السمفونية، أي كان صوت كل فرد متناغماً ومتلائماً مع الجو العام. كان ذلك موجوداً لأن كل فرد كان فرداً ناضجاً ويتبع الحق ويطير بجناح الشوق في أفق ما يراه مقدساً، ويطمح في رؤية شعائره وهي تعظّم وتبجل، ولم يكن مهما عندهم من سيقوم بهذا الأمر. وما دام الليل قد انقضى وأشرق الصباح فلم يكن مهما لدى أحدهم أأعطي له منصب سلطان أم درجة متسول.

إن الحواريين الجدد والأنصار هم المضحون الذين ينسون سعادتهم الشخصية في سبيل إسعاد الآخرين، ويفرحون بسعادة الآخرين فرحهم بدخول الجنة. ولعل من أخطر أنواع الفرقة حالياً فرقة الجماعات المستندة إلى أساس عرقي وعنصري. وكون الغرب هو منبع ومصدر هذه الفرقة أمر أكيد وقطعي بحيث لا يمكن أن يشك به أي مثقف.

أصبح الصراع في عهدنا الحالي صراعا بين المعسكرات وبين الأيدولوجيات التي تشمل الإنسانية جمعاء. وتحولت الدنيا كلها إلى قرية كبيرة، وتكونت اتحادات وتجمعات معينة تضم أمما شتى... في مثل هذا العصر فإن مثل هذا الفهم غريب، ولا سيما في منطقة وبلد يملك أفراده نفس البنية الاجتماعية. لذا فالنظر إليهم وكأنهم مجموعات عرقية مختلفة ومتميزة نظرة سطحية ومضحكة وخطرة كذلك لما تنطوي عليه من بذور فتنة وشقاق وفوضى. وهي نظرة مضحكة لأن وطننا تمازجت فيه الأقوام المختلفة نتيجة عيشها معا عصورا عدة، ولم يعد ثمة ما يدعى بـ"الدم الصافي النقي". والبحث عن مثل هذا الدم الصافي مستحيل كاستحالة الاطلاع على اللوح المحفوظ.

هذا مع العلم أنه توجد تجمعات مختلفة سكنت شمالي وجنوبي وشـــرقي وغربي الأناضول، وهناك وسط هذه التجمعات مجموعات تدعي انتسابها إلى عرق معين. ولا شك أن كل مجموعة من هذه المجموعات أصبحت ضـــحية لهذه النظرة الغريبة عن علم أم دون علم. إذن فلم يبق أمام هذه المجموعات سواءً أكانت سياسية أم غير سياسية سوى الإصـــغاء إلى صـــوت النبـــوة والاستجابة إلى ندائها الإنساني العام ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْـــلِ اللهِ جَمِيعـــاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ وكما تأسست أخوة صادقة في الماضي، يمكن تأسيسها أيضاً الآن. ولكن بشرط أن يتم تناول هذه المسألة المهمة بالعقل والمنطق، وتوضع تحت المجهر الإلهي.

إذن فمن الآن فصاعداً يجب ألاّ يتم تناول مسائلنا المهمة بشكل عاطفي وحماسي، بل ضمن مبادئنا المقدسة وبشعور جماعي يقظ وفي إطار من عقد اجتماعي. ذلك لأن قيام القوى الخارجية بتقديم بدائل مختلفـــة، وظهـــور جماعات من بيننا تركض وراء منافعها فقط، وضـــعف واهتـــزاز التـــوقير والاحترام للغايات والمثل العليا، وحلول المنافع الشخصية محل دعوتنا السامية جعل من الضروري قيامنا بتقوية الرابطة الموجودة فيما بيننا. ولا يتم هذا إلاّ بإظهار النقاط المشتركة فيما بيننا لكي تترجح على العوامل المفرقة، وذلـــك مثل وحدة أسس الإيمان وأسس العبادة والعمل ووحدة الـــوطن والثقافـــة، ووحدة الماضي والتاريخ والأيام التي تقاسمنا معاً حلوها ومرهـــا، ووحـــدة المصير المشترك ووحدة الأعداء في الخارج... أجل فهذه النقـــاط المقدســـة المشتركة فيما بيننا أقوى بكثير من العوامل الثانوية والجانبية للخلاف وأكثر ثقلاً ووزناً في الواقع حيث لا تملك عوامل التفرقة أي عناصر ذات بال.

والحقيقة أن هذا الموضوع تم تناوله من قبل صاحب الشرع مـــن هـــذه الزاوية، إذ أصبحت كلمة الشهادة -التي هي أهم ركن- رمزاً لـــصيانة أي فرد ينطق بها. وهناك حوادث كثيرة تؤيد هذا، منها تعرض أسامة بن زيـــد

إلى عتاب وزجر قوي من قبل النبي ﷺ،[1] كذلك إبعاد "مُحَلَّم" عن مجلس النبي ﷺ وعدم مسامحة النبي عليه الصلاة والسلام له. وهذه الحوادث تبين أي رابطة هي الرابطة الوثقى والقوية في نظر صاحب الشرع.

فإذا كان الموضوع بمثل هذا الوضوح فلا يبقى هناك مجال لعدم التفاهم مع أهل الإيمان ومع أهل السجدة ومع أصحاب القبلة وعدم التكاتف معهم. هذا فضلاً عن القيام بتكفيرهم وتضليلهم وتجريمهم. فهذا الأمر لا يسوغ ولا يليق بأصحاب الإيمان وبأولي الألباب. وعندما يكون هؤلاء المُكَفِّرين من الأشخاص المؤثرين على الجماهير، فتصوَّرْ عند ذلك كيف تتعاظم وتتضاعف الجرائم وعمليات الهدم التي يقومون بها. وأكثر الناس بؤساً في هذا الموضوع هم الزعماء والأئمة والمرشدون الذين تتضاعف نتائج جرائمهم آلاف الأضعاف نتيجه أوضاعهم وقيادتهم للجماعات.

لذا فإننا نتوجه إلى جميع الزعماء المرشدين والقادة بالتذكير الآتي لكي يبادروا بتأليف القلوب ورأب الصدع: ليكن حبكم لله وبغضكم لله، وابتعدوا عن عبادة النفس، لأن من يتبع أهواء نفسه لا يمكن أن يُرضي الحق تعالى ولا يمكن أن يُرضي الناس. أحبوا أصدقاءكم ضمن مقاييس "الحق"، ولا تبتعدوا عن المروءة. وانتبهوا لمؤامرات أعدائكم، ولا تسقطوا في حبائلهم ومصايدهم، ولا تجعلوا الخلاف في الفكر والخلاف في الفهم وسائل للفرقة وللعداء، بل عدوا هذا الخلاف مصدر غنى فكري.

ولنذكركم مرة أخرى بأن البغضاء والحقد لم ولن يحل أي مشكلة، واعلموا أن النصر عند المدنيين والمتحضرين لا يكون إلاّ عن طريق الإقناع. إذن تعالوا نعاهد الله للمرة الأخيرة على الوحدة وعلى التساند .

لا تتصرف أبداً كحواري الوحدة، ولا تقل لكل من تقابله "تعال لنتحد"، لأنها دعوة ليست في محلها. أما عندما تقول هذا بأسلوب من يدعو

---

(١) في إحدى السرايا تقابل أسامه مع أحد المشركين الذي بادر فنطق بالشهادة ولكن أسامه عد هذا وسيلة خلاص من الموت وأنها لم تصدر عن إيمان فقتله فعاتبه النبي ﷺ عتاباً مراً. (المترجم)

الآخرين للانضمام إلى مجموعته فهو خطأ أكبر وعدم توقير، ذلك لأن مثل هذا الأسلوب لا ينتج عنه -حتى عند أكثر الناس جنوحاً للخيال- سوى زيادة التعصب لجماعته. بل قم بالثناء على خدماتهم واحترم ووقر مرشديهم، وبهذا يلين حتى أكثرهم خشونة.

لكونك مؤمناً، عليك أن تنظر إلى الدنيا كمهد للأخوة، وابحث في تأسيس علاقة مع كل كائن. أما تجاه المؤمنين فلا بد أن تكون لينا رقيق الحاشية معهم. وإيّاك إياك أن تنتقد القدر الذي هيأنا وأوصلنا بيد عنايته وحكمته إلى موضعنا الحالي. فمن يدري فلعل المجتمع لم يصل بعد إلى النضج المطلوب، ولعل من الأصوب له أن يبقى مدة في وضعه الحالي.

علينا بأجمعنا أن نطرح النقد جانباً، ونقترب -على الأقل بعض الشيء- من تفويض الأمور إلى تجلي الأقدار، وليكن المولى نصيرنا ومعيننا.

الأمة

الأفراد الذين عزموا أن يكونوا عناصر صالحة في حياة أمتهم قد ينسون منافعهم الخاصة، ولكنهم لا ينسون أبداً أي منفعة من منافع الأمة مهما كانت تلك المنفعة ضئيلة.

* * *

أعلى الأمم قدراً هي الأمة التي تسير أمورها في ظل الوحدة والتآلف، والتي تعطي أهمية لرأي شعبها. وهذا يتعلق بقيام أفراد هذه الأمة بتلقي التربية نفسها في الدين واللغة والتاريخ.

* * *

يجب أن يكون النقد الصادر من الذين نحبهم ونثق في حبهم لنا أحب شيء عندنا، وإلاّ فإن الإنسان علاوة على فقده العديد من أصدقائه

يبقى جاهلاً بالكثير من نواقصه، ومحروما من إمكانية تعديلها.

* * *

من أهم الأمور التي أدت بأمتنا إلى الضعف هي سذاجتنا أمام الخادعين الذين ظهروا في مسوح الأصدقاء أمامنا. والحال أن على الإنسان ألاّ ينخدع بكل وعد، وألاّ يثق بكل دليل طريق.

* * *

إن أصبحت الحيلة والخداع في نظر أمة ما دليل عقل وذكاء فاعلم أن السرطان قد سرى في جسد تلك الأمة سرياناً لا يرجى معه شفاء. أما ما يبدو من أمارات التحسن في جسد الأمة فليست سوى سمنة سببتها الأورام الخبيثة وليست من مظاهر الصحة والقوة.

* * *

الأمة التي تكون فيها العلاقات الموجودة بين أفرادها علاقات قوية كقوة العلاقات العائلية تكون مرشحة للسير نحو الأمام بثبات. أما إن كان الود مفقوداً بين أفرادها والثقة معدومة فيما بينهم، والعداء سارياً، فمثل هذه الأمة لن تكون أمة بالمعنى الصحيح، ولا تملك أملاً للمستقبل.

الإنسان

الإنسان كائن مجهز بالأحاسيس العلوية ذو استعداد للفضيلة، وعاشق للأبدية وللخلود. فأكثرهم بؤساً من ناحية المظهر يحمل في جوانحه حباً للخلود وعشقاً للجمال وإحساساً بالفضيلة. وطريق السمو بالإنسان والارتفاع به نحو الخلود يكون بتنمية هذه الاستعدادات والقابليات عنده.

* * *

إنسانية الإنسان لا ترتبط بجسده المادي الفاني، بل هي في روحه المشتاق إلى الخلود. وهذا هو السبب الكامن وراء عدم وصوله إلى

الإشـــباع والرضا أبـــداً عنـــدما يعامل وكأنه جسد فقط.

* * *

أسعد الناس وأكثرهم حظاً هو الإنسان المتعلق أبداً بعشق ما وراء هـــذا العالم... بعشق العالم الآخر. أما الذين يقضون أعمارهم في السجن الـــضيق لأجسادهم فهم بؤساء وتعيسو الحظ وسجناء وإن عاشوا في القصور.

* * *

الوظيفة الأولى للإنسان هي اكتشاف نفسه ومعرفتها، ثم التوجه إلى ربه بعد وضوح ماهية نفسه أمام عينيه. أما الذين لا يتعرفون على ماهية أنفسهم ولا يدركونها ولا يستطيعون تأسيس علاقة مع خالقهم الجليل... هؤلاء من ذوي الحظوظ النكدة، يمرون بهذه الدنيا ويفارقونها وهم لا يعرفـــون قيمـــة الكنـــز الذي يحملونه بين جوانحهم مثل مرور الحمالين الذين لا يعرفـــون قيمة الكنوز التي يحملونها.

* * *

الإنسان كائن عاجز بحد ذاته، ولكن لا تخفى عن النظر حقيقة واضحة وهي أنه يبدي مقدرة كبيرة عندما يستند إلى صاحب القـــدرة اللانهائيـــة. أجل! عندما يستند إلى صاحب القدرة اللانهائية ينقلب من قطرة إلى ســـيل، ومن ذرة إلى شمس ومن متسول إلى سلطان.

* * *

بقدر تعامل الإنسان مع الوجود والحوادث والتفاعل معها أخذاً وعطـــاءً تظهر شرارات الحكمة في قلبه. وهكذا يتعرف إلى ذاته ويصل إلى معرفة الله ثم يسلك طريق الوصول إليه تعالى، بشرط ألاّ يكون قد ضـــلَّ في ســـياحته الفكرية الى حد الوقوع في الإلحاد, أو تعرض مسبقاً لعملية غسل دماغه.

* * *

الإنسان الحقيقي هو الإنسان الذي يعرف النقاط المشتركة بينـــه وبـــين الأحياء الأخرى. ويؤدي وظيفته في إدامة النسل بـــشعور مـــن المـــسؤولية

وبالبقاء ضمن الحدود الضرورية لأداء هذه المهمة. أما الإنسان الذي يركض وراء رغباته الجسدية وشهواتها فإنه يكون قد قلص المسافة بينه وبين الأحياء الأخرى.

التربية

مستقبل كل إنسان متعلق بما تأثر به وانطبع عليه في طفولته وشبابه من دروس التربية والسلوك. فإن كان قد قضى طفولته وشبابه في جو إيجابي يربي المشاعر العلوية توقعنا كونه إنساناً يحتذى به من الناحية الفكرية والخلقية.

* * *

الإنسان إنسان بقدر بعده عن الأشياء القذرة. أما من كان قلبه تحت سيطرة المشاعر الخسيسة، وروحه تحت قبضة شهواته فهو وإن بدا إنساناً في مظهره فهناك شكوك حول حقيقته الإنسانية.

يعرف الجميع تقريباً ما يتعلق بالتربية البدنية. ولكن من يعرف قيمة التربية الفكرية والعاطفية التي هي الأصل قليل جداً، بينما ينشأ في التربية الأولى إنسان الجسد والعضلات، وينشأ في الثانية إنسان الروح والمعنى.

* * *

إن إصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور، بل بتربية الأجيال تربية صحيحة وبتثقيفها ثقافة صحيحة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية الحق. وعندما تبذر البذور المقدسة التي هي عبارة عن خليط من الشعور الديني والتاريخي والأعراف في أرجاء الوطن، فسترى نبتات وشتلات عدة وهي تنبت في موضع كل شر محته.

* * *

الكتب التي تدرسها للصغار –سواءً أكانت نثراً أم شعراً– يجب أن تكون كتباً تقوي الفكر والروح، وتعطي الأمل والعزم. وهكذا

تســـتطيع توقع نشوء أجيـــــال قوية الإرادة، متينة الأفكار.

* * *

ومع ضرورة تنشئة البنات تنشئة خاصة (وظائفهن المستقبلية في تربيـــة الأطفال) بحيث يكنّ مثال الرقة والحنان، يجب الاهتمام بهن من ناحية الفكر وتغذيتهن بالفكر الحق بحيث ينشأن قويات في هذا المجال قوة الفـــولاذ. وإلاّ جعلناهن بحجة تنشأهن على الأتيكيت والرقة- نساءً مسكينات وعاجزات. ويجب ألاّ ننسى أن اللبؤة أسد أيضاً.

* * *

التربية جميلة بحد ذاتها، ومن يملكها يحز على التقدير. أجل حتى الجاهـــل يكون محبوباً إن كان مؤدباً. والأمم المحرومة من التربية الدينية ومن الثقافـــة الدينية والملية تشبه الأشخاص المتسيبين الجاهلين الذين لا تتوقع منهم لا وفاء عند صداقتهم ولا جدية عند عداوتهم. والذين يثقون بأمثال هؤلاء يرجعون دائماً بالخسران وخيبة الأمل. والذين يعتمدون على هؤلاء يبقون دون سند ودون معونة.

* * *

المربيات والمربون الذين لم يتتلمذوا على يد خبيرة، ولم يتلقوا التربية من مصدر موثوق يشبهون العمي الذين يحملون المصابيح لإنارة الطريق أمـــام الآخرين. والوقاحة وعدم التربية المشاهدة عند الصغار تدل على عدم صفاء النبع الذي يتلقون منه التربية. وعدم التوازن الموجود في العائلة من ناحيـــة التصرف أو الفكر ينعكس في روح الطفل ويتضـــاعف هنـــــاك. ومنـــه يســـري طبعاً إلى المجتمع.

* * *

يجب أن تولى أهمية لدروس التربية والثقافة الدينية في المـــدارس بقـــدر الأهمية المعطاة للدروس الأخرى في الأقل، حتى تتربى أجيال قوية في خلقهـــا

وسلوكها وروحها فيحولوا ربوع هذا الوطن إلى جنة والتعليم شيء والتربية شيء آخر. فمن الممكن أن يكون أكثر الناس معلمين، ولكن القلة فقط منهم يستطيع أن يكون مربياً.

* * *

مع كون دروس التربية الدينية والثقافة الدينية مهمة وضرورية جداً، إلاّ أن الأهمية المعطاة لها في المدارس قليلة. فإذا استطعنا يوماً أن نتلافى هذا الامر ونسد هذا النقص نكون قد خطونا خطوة هامة جداً في مضمار تقدم هذه الأمة وإتخذنا أصوب قرار.

* * *

إن أرواح الأطفال أصفى مرآة، وأسرع آلة تصوير. والمدرسة الأولى لهم هي بيوتهم، وأول المربين لهم هم أمهاتهم. لذا فإن إعداد الأمهات كمربيات صالحات أساس مهم من أسس بقاء الأمة.

* * *

لما كانت مرحلة عمر الطفل منذ الولادة وحتى السنة الخامسة أكثر المراحل التي يكون فيها اللاشعور عنده منفتحا، كان كل ما يقدم له في هذه المرحلة من أمثلة حسنة وقدوة جيدة ضرورية له وفي محلها.

الثقافة

الثقافة بمثابة نبع هام ترده الأمة على الدوام في مراحل تطورها الخاص بها. وقد كانت هناك دائماً علاقة وثيقة بين تلائم وتناغم حياة الأمة واتجاه واستقامة سيرها، وبين صفاء نبع ثقافتها.

* * *

الثقافة هي طراز وسمة الحياة المعاشة في مجتمع والناتجة من عادات وتقاليد وتربية ولغة وفن ومشاعر ذلك المجتمع. وكل جزء منها قطعة مهمة من

الأسس الكلية للمجتمع. وعدم رؤية هذه الأسس والقواعد يعد عماية. وكل محاولة لإبعاد المجتمع عنها يعني وضع المجتمع في حيرة من أمره ودون سبيل يسلكه أو إدارة توجهه.

* * *

والثقافة قد تنتقل من مجتمع إلى آخر نتيجة احتكاك الامم بعضها مع البعض الآخر، مثلها في ذلك -بمقياس ما- مثل المدنية. ولكن إن لم يتم مرور هذه الثقافة من خلال عملية تصفية ضرورية يقوم بها روح الأمة، وإن لم تتم عملية فرز واصطفاء فلا مهرب آنذاك من حدوث أزمة ثقافية وأزمة مدنية.

* * *

تتشكل الثقافة الحقيقية من خلال التمازج والتفاعل بين الدين الحقيقي وبين الخلق السامي والفضيلة في بوتقة العلوم المهضومة جيداً، ووصول هذا المزيج إلى المستوى المطلوب من النضج.

لذا لا يمكن الحديث عن الثقافة الحقيقية في أي جو من اللادينية والهبوط الأخلاقي والجهل، ولا يمكن لأي إنسان يعيش في مثل هذا الجو الاستفادة من هذا المنبع.

* * *

الأمم التي تسعى لإدامة ذاتها وبقائها ولكنها تسلم نفسها إلى حضارة ومدنية الأمم الأخرى تشبه شجرة علقت عليها أثمار شجرة أخرى... أي تكون محل سخرية وذات مظهر خادع.

* * *

تظهر الثقافة وتولد وتنمو من طبيعة الأمة والمجتمع. والثقافة بالنسبة للمجتمع بمثابة الزهور والثمار بالنسبة للشجرة. والأمم التي لم تنجح في إنضاج ثقافتها أو الأمم التي فقدت ثقافتها تشبه الأشجار العقيمة التي لا تعطي أثماراً، أو الأشجار التي تساقطت أثمارها وفقدتها. والمصير المحتم الذي

ينتظر مثل هـــذه الأشـــجار هو قطعها واســـتعمالها حطباً.

* * *

تحتل الثقافة محلاً متميزاً في حياة كل أمة. وكل ثقافة امتزجت مع ماضي الأمة وارتبطت بجذور روحها تستطيع إنارة طريق الحياة والتقدم أمامهـــا. وعلى النقيض من هذا فإن قيام الأمة بتسليم نفسها إلى أحضان فكر وثقافة أجنبية والسير متذبذبة ذات اليمين وذات اليسار سيؤدي إلى اضمحلال تلك الأمة وتفسخها.

الشاب

الرجل الشاب مصدر أمل للقوة والقدرة والذكاء. فـــإن تم الاهتمـــام بتربيته وتنشئته أصبح "هرقلاً" يتغلب على المصاعب ورجل فكر ينير القلوب ويعيد ترتيب الأمور وتنظيمها.

* * *

المجتمع يشبه وعاءً بلورياً، والشباب هم السائل الذي يملأ هذا الوعـــاء ويعطيه شكله ولونه. ولا أدري أيستطيع حواريو النظام في المجتمـــع الـــذين يدعون الشباب دوماً إلى الانقياد والطاعة أن يتريثوا لحظة ويلقوا نظـــرة إلى أنفسهم؟

* * *

الأهواء تشبه الحلويات، أما الفضائل فتشبه أطعمة فيها بعض الملوحـــة. لذا أهناك حاجة لتخمين الصنف الذي سيختاره الشباب والصنف الـــذي سيتركه إن أعطيت له حرية الاختيار كاملة؟ هذا مع العلم بأننا مـــضطرون لتنشئتهم بحيث يكونون مع الفضائل وضد الرذائل وضد السقوط الأخلاقي.

* * *